

فَجَدُّ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ

ريحانة بنت زيد

رضي الله عنها

التي اختارت الله ورسوله

صَحَابِيَّات
حول الرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



مراجعة: يوسف عساتي

إعداد: زهير مصطفى يازجي

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم العربي بحلب ولايجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْشُورَاتُ
دَارِ الْقَمِّ الْعَرَبِيِّ بِحَلَبَ

جَمِيعَ الْمَقْرُونِ مَحْفُوظَةً

الطَبْعَةُ الْأُولَى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

عَنْهُنَّ الدُّرَرُ
سُورِيَّةٌ - حَلَبٌ - خَلْفَ الْفُنْدُقِ السِّيَّاحِيِّ
بِتَارِغِ هُدَى الشُّعْرَاوِيِّ
هَاتِفٌ: ٢١٢١٢٩ - ص.ب.: ٧٨ - تَلَكْسُنُ: ٣٣١٦٩٢ - رِفَيْكُو

ريحانة بنت زيد

﴿ نسبها وقصة سبها ﴾

هي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة النضرية . وهي من مُلك اليمين ، أي أنها كانت سبية من بين السبايا اللواتي سُبِنَ مع بني قريظة ، سنة ستٍ للهجرة ، وذلك بعد غزوة بني قريظة .

﴿ غزوة بني قريظة ﴾

بنو قريظة قوم من اليهود ، بالمدينة المنورة ، ومن حلفاء الأوس ، وسيّد الأوس حينئذ سعد بن معاذ .

وكانوا قد نقضوا العهد ، وحاربوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم مع الأحزاب في غزوة الخندق ، واشتد البلاء على المسلمين ، فكان تأديبهم أمرًا لا بدّ منه .

لأن وجودهم في المدينة فتنة تهدد المسلمين، ولأنهم هم الذين جمعوا الأحزاب ، وانضموا إلى الأعداء ، أعداء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

فقد عُرف اليهود منذ القدم وما زالوا ، بجبههم للخداع والمكر وبأساليبهم المعوجة ، أليسوا هم قَتلة الأنبياء والرسول ؟ ألم يحاولوا الإيقاع بين المسلمين عن طريق بثِّ الشائعات وخلق الفتن ليسودوا الناس ويضلّوهم ؟ .

ولما انصرف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق ، دخل المدينة سنة خمس للهجرة ، هو وأصحابه ، ووضعوا السلاح ، وكان قد صلى الصبح ، ودخل بيت عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها .

فلما كان وقت الظهر ، أتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، واضعاً عمامة من استبرق^(١) على بغلة عليها قطيفة من ديباج^(٢) ، فقال :

(١) استبرق : حرير .

(٢) ديباج : قماش مرتفع الثمن .

- أَوْ قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :
- ” نعم ” .

فقال جبريل عليه السلام :

- فما وضعت الملائكة السلاح بعد . إن الله عز وجل يأمرك يا محمد
بالمسير إلى بني قريظة فإنني عامدٌ (١) إليهم فمزلزلٌ بهم .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

- ” إنَّ في أصحابي جهداً (٢) ، فلو نظرتهم (٣) أياماً ” .

فقال جبريل عليه السلام :

- انهض إليهم ، فوالله لأدُفَنَّهُمْ كدَقِّ البِيضِ على الصفا (٤) ولأُدْخِلَنَّ
فرسي هذا عليهم في حصونهم .

(١) عامد : ذاهب .

(٢) جهداً : تعباً .

(٣) نظرتهم : أجليتهم .

(٤) الصفا : الصخرة الصلدة .

واستجاب النبي ، صلى الله عليه وسلم لنداء ربّه ، ولبس الدرع
وأخذ الرمح ، بيده الشريفة ، وركب فرسه ، ثم أمر مؤذنا ، فأذن في
الناس :

- من كان سامعا مطيعا ، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة .

وخرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، بثلاثة آلاف مقاتل ،
حتى دنا من حصن بني قريظة قرب المدينة ، فسمع من بني قريظة كلاما
قبيحا في حقّ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وحقّ أزواجه ، فقال له :

- يارسول الله لاعليك ألاتدنوّ من هؤلاء الأخابث .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :
- " لعلك سمعت منهم لي أذى " .

فقال علي ، كرم الله وجهه :
- نعم يارسول الله .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :
- " لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا " .

ولما دنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال :
- " يا إخوان القردة ، هل أنزلكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ " .

فجعلوا يَحْلِفُونَ ويقولون :

- ماقلنا ذلك يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

فقال لهم النبي ، صلى الله عليه وسلم :

- " لاعهد بيني وبينكم " .

فحاصرهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ،
حتى أرهقهم الحصار ، ونفدت مؤنهم وشحَّ (١) ماؤهم ، وقذف الله في
قلوبهم الرعب .

وعندما أيقن بنو قريظة أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
غيرُ منصرفٍ عنهم حتى يقاتلهم ، قال سيّدُ بني قريظة ، كعب بن أسد :
- يامعشر اليهود ، إنه قد نزل بكم من الأمر ماتروناً ، وإني عارض
عليكم أمورا ثلاثة ، فخذوا أيها شئتم .

(١) شحَّ : قلَّ .

وعرض عليهم زعيمهم هذه الأمور ، قائلا :

- نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد كان قد تبين لكم أنه لنبي مرسل ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم .

فقالوا له :

- لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولانستبدل به غيره .

ثم عرض عليهم الخيار الثاني ، قائلا :

- إذاً فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه ، فنقاتله فإن هلكنا ، هلكنا دون أن نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نتصر فإننا سوف نجد النساء والأبناء .

فأبى اليهود الخيار الثاني أيضا ، ثم عرض عليهم زعيمهم الخيار الثالث ،

قائلا :

- إنَّ الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نفاجئ محمدا ونأخذه على حين غرة (١) .

(١) غرة : غفلة .

فقالوا : نفسد سبتنا ، ونُحَدِّثُ فيه ما لم يحدث فيه من قبلُ ، فيمسخنا(١)
الله .

ورفض بنو قريظة هذا الأمر أيضا ، وحاولوا الخداع كعادتهم ،
وأرسلوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم " أبا لبابة "
وهو رفاعة بن عبد المنذر ، ليستشروه في أمرهم .

فأرسله إليهم ، فقاموا إليه ليكون ، فرَقَّ قلب أبي لبابة لهم وأفشى
بسرِّ نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، عندما أخبرهم أنهم ملاقو
حتفهم(٢) لامحالة . لكن أبا لبابة ندم بعد ذلك أشد الندم ، وتاب على
فعلته ، وغفر الله له في القرآن الكريم .

ثم إن بني قريظة أرسلوا يطلبون حكمَ سعد بن معاذ ، رضي الله
عنه ، الذي قال عندما أصيب في غزوة الخندق :

- اللهم لا تمتني حتى تقرَّ عيني في بني قريظة .

(١) كان الله قد مسخ بعضهم قرده .

(٢) الحتف : الموت .

وعندما طلب النبي ، صلى الله عليه وسلم منه أن يحكم فيهم ، قال
سعد:

– أرى أن يُقتلوا ، وأن تُسبى نساؤهم ، وتُقسم أموالهم .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

– ” لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله “ .

فأمر النبي ، صلى الله عليه وسلم بقتلهم ، عندها صاحت
نساؤهم ، ونشرت شعورها ، وضربت حدودها وملأت المدينة نواحاً
وبكاءً .

﴿ ريحانة السبية ﴾

سبى النبي ، صلى الله عليه وسلم نساءهم ، وقتل رجالهم ، وقسم
أموالهم ، وكانت ريحانة بنت زيد من بين السبايا ، وكانت متزوجة من
بني قريظة رجلاً يحبُّها ويكرمها ، وكانت تقول :

– والله لأستخلف بعده أبداً .

فعندما سببت اختارها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لنفسه

صفية ، إذ كانت ذات حسن وجمال .

ثم عرض عليها النبي ، عليه الصلاة والسلام الإسلام ، فأبت أن تسلم ، وفضلت البقاء على دين اليهودية ، فأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أن تُعزَل ، بعد أن حزن حزنا شديدا .

وبينما هو في أصحابه ، إذ دخل عليه رجل يقال له : ثعلبة بن سعية ، وهو أحد الصحابة ، وكان قد علم أمر ریحانة ، ورفضها الدخول في الإسلام .

فقال ثعلبة ، رضي الله عنه :

- فذاك أبي وأمي يارسول الله ، هي ستسلم .

وخرج من عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، متوجها إلى ریحانة بنت زيد ، وظل يكلمها عن الإسلام ويحببها فيه ، وأنها سوف تحظى بالشرف العظيم إذا اختارها النبي ، صلى الله عليه وسلم زوجة له ، قائلا لها :

- لاتتبعي قومك الضالين ، فقد رأيت ما أنزل الله بهم من سوء العقاب ، فأسلمي يصطفيك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم لنفسه .

وما زال بها يحاول إقناعها ، حتى وافقت ، ودخلت في دين محمد ،
صلى الله عليه وسلم ، وهبَّ ثعلبة مسرعا إلى رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ليزفَّ إليه البشرى .

وبينما كان النبي ، صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، إذ سمع
صوت نعلين ، فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

— " إن هاتين لنعلتا ثعلبة بن سَعِيَةَ ، جاء ييشرنني بإسلام ريحانة " .

ودخل ثعلبة مبتهجا ، مفترَّ الثغر^(١) ، قائلا :

— يارسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، رضي الله عنها .

فسرَّ كثيرا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأمر بإرسالها إلى
بيت " أم المنذر بنت قيس " ، فجلست عندها ريحانة ، رضي الله عنها
إلى أن طَهَّرَتْ .

(١) مفترَّ الثغر : مبتسما ، والثغر : الفم .

﴿ زواجها من النبي ﴾

وعندما أخبرته أم المنذر بأن ريحانة ، رضي الله عنها ، قد طهرت ،
جاءها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال لها :

- إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت ، وإن أحببت أن تكوني في
ملكي أطوك^(١) بالملك ، فعلت “ .

فقال ريحانة بنت زيد ، رضي الله عنها :

- يا رسول الله ، إنَّ أخفَّ عليك وعليَّ أن أكون في ملكك .

فكانت في ملك اليمين ، عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
يطؤها حتى ماتت .

وتروي ريحانة بنت زيد ، رضي الله عنها قصتها ، فتقول :

(١) أطوك : أتزوجك .

- كنت فيمن عُرِضَ على النبي ، صلى الله عليه وسلم من السبي ، فأمر بي ، فَعُزِلْتُ ، وكان يكون له ، صلى الله عليه وسلم صَفِيٌّ في كل غنيمة .

- فلما عُرِزْتُ حَارَ اللهُ لي ، فارتحل بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياما ، حتى قُتِلَ الأَسْرَى ، وفُرِقَ السبي ، ثم دخل عليَّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فابتعدت عنه حياءً وخجلاً ، فدعاني وأجلسني إلى جانبه ثم قال لي :

- ” إن اخترت الله ورسوله ، اختارك رسول الله لنفسه “ .

فقلت :

- إنني أختار الله ورسوله .

- فلما أسلمت أعتقني رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتزوجني ، وأصدقني (١) اثني عشر أوقية ، كما كان يصدق نساءه ، وكان يقسم لي ، كما كان يقسم لنسائه ، وضرب عليَّ الحجاب .

(١) أصدقني : أي دفع مهري .

ويروى أنها ، رضي الله عنها ، غارت عليه غيرة شديدة ، فطلقها
تطليقةً ، وهي في موضعها لم تبرح (١) ، فشقَّ (٢) عليها وأكثر البكاء ،
فدخل عليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهي على تلك
الحال ، فراجعها .

وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم معجبا بها وبجمالها ،
يخلو بها ويستكثر منها (٣) ، فكانت لاتسأله شيئا إلا أعطاهها ذلك .

ف قيل لها :

- لو كنتِ سألت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بني قريظة
لأعتقهم .

ف قالت ریحانة ، رضي الله عنها :

- لم يخلُ بي ، حتى فرَّق السبي .

(١) لم تبرح : لم تغادر .

(٢) شقَّ عليها : صعبَ عليها ذلك .

(٣) يستكثر منها : يطيل المكث عندها .

﴿ وفاتها ﴾

بقيت ریحانة بنت زید ، رضي الله عنها ، عند رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم حتى ماتت ، حين رجع من حجة الوداع ، فدفنها
بالبقيع (١) .

رضي الله عنها

(١) البقيع : مكان قرب المدينة ، يدفن أهلها فيه .